المرأة والرجل

« ولِمَ لا يتساويان »

سيدي الفاضل ع . ي . ع . المحترم

اطلعت بالعدد الاول من السنة الثالثة من مجلة الجنس اللطيف الغراء على ما تفضلت فرددت به على حضرة الاديب السيد عمر لطفي المنفلوطي ولذا جاشت بصدري كلمة في هذا الموضوع رأيت ولا بد من ابدائها

رأيتكما حفظكما الله تجتهدان في تفضيل جسيم العالم الانساني ـ الرجل والمرأة ـ جزؤه على الاخر . فوددت ان اطرح على حضرتكما هذا السؤال الذي عنونت به كلمتي — الرجل والمرأة لِمَ لا يتساويان ؟ — ورغماً عن وعورة هذا السؤال وصعوبة المسلك فيه وما تمثل لديَّ في بدء النظر اليه من الصعوبات والعقبات — لاسيما لمثلي وهو حديث بالقلم — رأيت بعد التروي والامعان نوراً اهتديت بفضله الى البحث فيما اتوخاه

خلق الله تعالى جميع الكائنات من بهائم ودبابات ووحوش الارض كاجناسها وطيور السماء على اختلاف انواعهـا « ورأى كل ما عمله فاذا هو حسن جداً » تك ٢ ـ ٣١

خلق الله ادم الاول ووضعه في جنة عدن وأدخل اليه كل هذه المخلوقات كي يتسلط عليها . اعطاه كل شجر فيه ثمر كي يكون له طعاماً . اصبح ادم اول ملك ارضي تحكّم في المخلوقات وتسلط على ثمر الارض الواسعة الارجاء . لا شريك يعارضه او مزاحم يقاسمه ذلك السلطان المطلق ولا تلك السعادة الحقيقية التي لا يحلم بنوه بها بعد سقوطه في خطية التعدي

تطلع الخالق تعالى من سماء قدسه فلم يرق في عينيه ذلك السلطان ولا تلك السعادة الوهمية

رأى الخالق ان وجود آدم وحيداً يهيم على وجهه في تلك الرياض الزاهرة وذلك السكون المستمر والسعادة الغير المتناهية لا يأتي بنتيجة ذلك القول المقدس « اثمروا واكثروا واملؤا الارض » . اشرف من سماء قدسه « فرأى انه ليس جيداً ان يكون آدم وحده » فقال « فاصنع له معيناً نظيره »

من هذا القول المقدس ياسيدي ع . الذي يعتبر كقاعدة اساسية يتدفق من بين جوانبها الحقيقة نستنتج برهاناً قطعياً هو — مقام المرأة ازاء مركز الرجل او بالحري نسبة المرأة الى نسبة رجلها . . . هذه النسبة او هذا المركز كائن في قوله تعالى « معيناً نظيره » . نعم نظيره تماماً . نظيره لانها خلقت معيناً له في اعماله . سميراً له في عزلته . انيساً له في وحشته . شريكاً له في سرائه وضرائه . « وكلاهما جسد واحد » . فقاعدة بحثنا الاساسية ونتيجة برهاننا القطعي تساوي آدم وحواء في نظر الخالق تعالى تساوياً فعلياً اذ بفقد احدهما يكون العالم ناقصاً لا يفي بغرض الخالق حسب ترتيب قصده الازلي

البرهان الثاني الذي عنَّ لي ذكره في هذا المبحث هو كائن في كيفية خلق حواء قيل في سفر التكوين ص ٣ — ٢١ الخ « فاوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام . . . فأخذ واحدة من اضلاعه وملاء مكانها لحماً . . . وبنى الضلع التي اخذها من آدم امرأة . . . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي . قال احد المفسرين « لم يخلق الله حواء من قدم آدم كي تكون دونه ولا من هامته كي تكون مسيطرة عليه بل خلقها من جنبه كي تشغل الفراغ الذي اخذت منه كما ذكر سيدي ع .

هكذا خلقت حواء مساوية لآدم بشهادة خالقها . فان اغتالت حقوقها يد الطبيعة الجائرة فالعيب كل العيب على شريكها الانسان . اللوم كل اللوم على ابنها وزوجها واخيها الذين كانوا سبب ذلك الضعف الذي اتخذته سلاحاً تشهره في وجهها وتفضل نفسك عليها به

اعلم ايها العزيز ان هذا المخلوق الضعيف البنية، اللطيف التركيب، اللين العضلات، الرقيق الجسم، هو هو ذاك الذي يحكم بضعفه ويسود بلطفه ويظفر بوجله ويبني ويهدم

بواهن ارادته هذا المخلوق الضعيف هو الذي لرضائه سجد سليمان الحكيم وشبه لصنم لا حس له ولا حراك

اسكندر الكبير الذي دوخ العالم بفتوحه لم يكن انقياده لسلطان هذا المخلوق الضعيف اقل من انقياد ذاك الحكيم اليه فهو الذي قال عن نفسه « سأطوع العالم وادوخه ارضاء لمن أحب »

نابليون ذلك الرجل الذي بهر العالم بحذقه وشجاعته بكي عندما صادف من جوريفين اعراضاً وعند ما سمع منها قولها « لا ارضى بك بعلا » هـذا المخلوق الضعيف هو شخص دليله التي تغلبت بدهائها وقوة ذكائها على شمشون الذي بدد شمل الفلسطينيين ...

على هذا القياس يا سيدي ع . نقيس سلطان كل امرأة على قلب كل رجل.

أبعد هذا تفاخر أيها الرجل « بقوة عضلك وشدة جلدك كي تظل نهارك في معمل الحديد أو منجم الفحم بمقطعك ومطرقتك » ؟؟

اذا كان امتيازك عن المرأة يا سيدي ع . هو لئن خصتها الطبيعة بتلك المهمة العظيمة التي لم يكن اكمل منها مهمة حيث يتوقف عليها قيام الكون وعمرانه وهي (ان تكون اماً لكل مخلوق) فلها في ذلك الفضل الاسمى عليك اذ انت من ثمرها اكثر من ثمرة غيرها . هي التي تعبت فيك وقاست لأجلك اوجاعاً لا تستطيع أن تتصورها أو تفقه معظمها . هي المخلوق الوحيد الذي يجب أن تحترم مهمته . وكان من المحتم ان لا تساويها فقط بغيرها بل كان يجب تفضيلها على سواها لولا ان خصتها الخالق بهذه المساواة

المرأة ياسيدي ع . هي والدة الرجل واخته وزوجته فهل من العدل ان تكون مفضلاً على اناس هم علة وجودك وسبب سعادتك الداخلية وراحتك المنزلية ؟

اذا كان تفضيلك عنها ياسيدي ع. هو لئن أمرها دينها باحترامك وتقديس اوامرك فلم يأمرها كذلك الا لانه عرف بانها مصدر حبك الطاهر . مصدر القوة وهي

واهنة الارادة . مصدر السلطان وهي قوية الحجة . مصدر السعادة ورأس الهناء والعناء . . . فماذا اذاً يجب إن ترد لها ياسيدي نظير هذه الطاعة المقدسة ؟

يجب ان تقدم لها واجب الاكرام ، واجب الاحترام ، واجب الحرية ، واجب المساواة

اذا امرها ياسيدي ناموس دينها ان تدعوك سيداً فقد يأمرك ناموس الادب ، ناموس الاجتماع ، ان تدعوها ياسيدتي ايضاً ويعلم الله من منكما يتمتع كل يوم الف مرة ومرة بسماع هذه الكلمة

لو كان تفضيلك عنها لانك تقوم بشاق الاعمال ودقيق المخترعات وركوب متن الصعاب . فارجو ان لاينسى كلانا موقف هيليوبوليس وتعيد معي مشاهدة البارونة لاروش والمسيو لاتام حيث شاهدنا كيف كانت تحملق في الهواء كي تغالبه فيغالبها وتسابقه فيسابقها — المرأة ياسيدي لا تثنيها الطبيعة بما اسندته اليها من ناموس الحمل والارضاع عن القيام بصعاب الامور اسوة بالرجل ان هي شاءت وشاء لها ميلها . المرأة والرجل ياسيدي هما جسم الهيئة الاجتماعية . فالرجل وهو عيّل الصبر قليل الاحتمال يحتاج للمعينة الكثيرة الاحتمال الصبورة على ما ينتابها من النكبات . المرأة اللطيفة التركيب تحتاج لرجل خشن الجسم قوي البنية كي يتم بناء الهيكل الانساني . المرأة السليمة القلب الرقيقة المزاج تحتاج لرجل محنك اختبر العالم وما يحتويه من اختلاف المشارب وتنوع الامزجة كي يسد بهذا الاختبار ما نقص من ذاك الفراغ . المرأة وهي ملكة منزلها ومديرة بيتها ومهذبة اطفالها تحتاج بالطبيعة الى رجل يقوم بسد عوزها والكد عليها وعلى اولادها

« الرجل هو العقل والمرأة هي القلب » وكلاهما جسد واحد لا يفضل احدهما على الآخر في اى حالة من الحالات . فلتطمئن على انفسهن حضرات السيدات